في الأدب الغزلي

القرية المهجورة

للشاعر اوليفر جولدسمث

«أوبرن» باجة في سفح وادينا يانفحة السحر من فردوس ماضينا
حيث السعادة للحصاد (١) عافية تشد منه ، وخيرات أفانينا
وحيث تبدو بواكير الربيع بها غيسا قبل أن تغشى الباتينا
وحيث يخلف فيك الصيف بهجته زهرا يرف ، وأطيارا تغنينا

معاهد كنت أغشى في عرائشها ترى بُلهنية (٢) قد طاب أردانا
مقاعد من شباب كله مرح سقيت فيها الهوى والسحر خلصانا ،
جررت ذيل شباني في خمائلها تيها ، ومايت فيها اللهو ألوانا
حيث السعادة فيها وهي وادعة تعز من كل شيء فوقها هانا

لكم وقفت لأستملي مناظرها وأملأ العين سحرا حد مختلس
أشاهد الكروح في أظلال أيكه والجدول العذب يجري غير محتبس
وألمح البقعة الزهراء مشرقة من سفح راية في دجنة الغلس
أصغي إلى الليل والطاحون صاخبة والطير تشدو بصوت ناعم الجرس

هناك في دخل هذا الدوح كم أنست فيه الطفولة مغنى من مغانينا
كانت مطاف الهوى في طيب عزلتها حينا .. وكانت مطافا للأسى حينا
كم حمل النسم من أطرافها عبقا تساجل الشيب أو همس المحبينا
ولم نحمدنا ليوم اللهو مقدمه فيها لنحيي بها أصـــفى لياليـنا

يوم ترفه عنها النفس مالقيت من المتاعب في رفق وإبطاء
ويجمع الحاصدون الغر شملهم في ظل فيئة الأغصان فرعاء
تحوبهم حلقات من شبابهم فيرقصون على المزمار والناي
يناجزون من الألعاب أنوعها والشيب يلحظهم لحظات إغراء

وإن يمل من الألعاب صحبتهم استأنفوا طارفا للهو وانغمروا
كل ينافس في صبر وفي جلد رفيقه ـ ليقال الغالب الظفر

(١) أصل هذه الكلمة swain ومعناها فلاح ولكنا لم نجد في اللغة العربية لفظة مرادفة لها غير فلاح فاستعملناها بلفظ واحد . (٢) المقصود بها مكان اللهو واللعب .

وفي تداول في الآفاق سيرته ويشتر الحي ماأبدى فيشتهر
قد استخف بما يلقاه من تعب والترب يعلو جبينا منه والعفر

بينا ترى سامرا في القوم معتبطا يروي النكات لهم والكل منبهج
يتلو عليهم طريفا من نوادره حلوا يكاد مع الأرواح يمتزج
ورب ساجية الأجفان فاتنة ظلت ترانيه منها أعين دعج
وتفهم الأم ماترمي فتحدجها حدج الملامة في صمت فتزعج

آها لعهدك ، ياأوبرن ، أذكره وكيف تنفع ذكرى تبعث الأسفا
هذي المفاتن كانت في ترادفها توحي إلى قلب أهليك الهوى الشغفا
على خمائلها فاضت مراتعها سحرا ـ ورفت على أدغالها طرفا
مفاتن ! أذوت الأيام بهجتها وصيرتها الليالي للبلى هدفا

«أوبرن» أين تولت من مغانيك هذي الملاهي وفرت من روابيك؟
لقد تمشت يد العافي عليك فلم ترحم قلوب الحزاني من أهاليك
وقد علاك شحوب من تعسفها ووحشة قد تمشت في مراعيك
بأي حكم زمان صار يحكمها فرد ـ وكانت تراثا في أواليك

كانوا جميعا ـ فأمسى جمعهم بددا والربع أقوى ـ وكان الربع مأنوسا
والسهل لم يبق فيه بعد نضرته إلا بقية زرع كان مغروسا
والجدول العذب لم نبصر تألقه كما عهدنا ـ وفيه اليوم معكوسا
لكن سرى وهو بالأعشاب مختنق يشق مجراه بين الغاب محبوسا

وفي مفارجك الخضراء حل بها ضيف غريب من الأدغال قد هتفا
هذا هو الرخم يبني وكره ويرى مستمكنا في ذرى الأغصان مشرفا
وفي طلولك تدوي اليوم ناعبة تنعى بصوت كئيب ماضيا سلفا
آها لعهدك ياأوبرن أذكره وكيف تنفع ذكرى تبعث الأسفا

هذي خمائلك الخضراء ذاوية حانت مباهجها ، دالت دواليها
توانبت فوقها الأعشاب هائشة والحقل أصبح ضيفا راعيا فيها
واليوم أهلك في خوف وفي وجل من بطش منفرد الأحكام طاغيها
قد بدلوا عيش أرض غير أرضهم وبدلوا ود أهل غير أهليها

تتبع . . . . م . ع . الهمشري